الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

محاضرات في:

تاريخ أوروبا في العصور الوسطى

للسنة الثانية ليسانس تاريخ LMD

الأستاذ (أستاذ مؤقت): مشايرية أيوب

الموسم الجامعي 2021/2020م

المحاضرة الثانية: الإمبراطورية الرومانية في عهد دقلديانوس وقسطنطين

عناصر المحاضرة:

أولا: التعريف بشخصية دقلديانوس (284–305م)

أ– أصله ونشأته

ب– سياسته في حكم الإمبراطورية

ج– إصلاحات الامبراطور دقلديانوس

1– الإدارية

2– العسكرية

3– الاقتصادية

ثانيا: التعريف بشخصية قسطنطين (306–337م)

أ– أصله ونشأته

ب– إصلاحات الامبراطور قسطنطين

1– الإدارية

2– العسكرية

3– الاقتصادية

تمهيد:سس

لقد قسم تاريخ روما إلى ثلاثة عصور: العصر الملكي والذي يبدأ من تأسيس المدينة سنة 753 ق.م إلى غاية 504 ق.م، والعصر الجمهوري الذي شهد سلسلة من الصراعات الحربية والحروب الاهلية والعصر الامبراطوري حينما قام الإمبراطور أوغسطس باستحداث نظام سياسي جديد عرف بنظام الإمبراطور والذي تميز بذكائه ودهائه ووسامته.

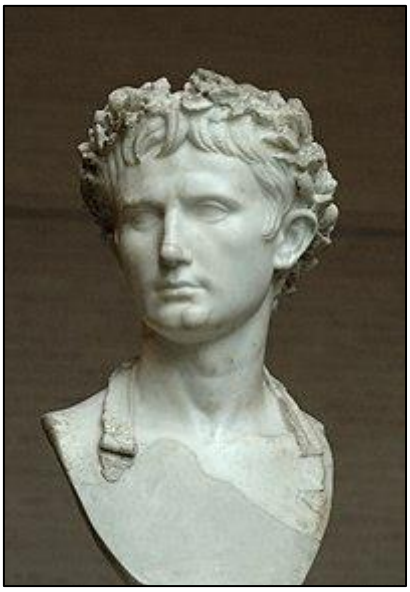

الامبراطور أوغسطس

وقد اعتبر القرنين الأول والثاني في حياة الإمبراطورية الرومانية قرن الازدهار والرقي خلافا على القرن الثالث الذي تميز بأوضاعه المتردية على مختلف نواحي الحياة وهذا ما أبرزناه أكثر في محاضرتنا السابقة، ومع الأوضاع المزرية في القرن الثالث ظهرت شخصيتين بارزتين على ساحة الأحداث تركت أثرا مهما في الإمبراطورية الرومانية، حيث اعتبر المختصون في تاريخ الإمبراطورية أنها مرحلة انتقالية هامة عاشتها الإمبراطورية الرومانية بتولي كل من دقلديانوس وقسطنطين الحكم وذلك من خلال الإصلاحات العديدة التي قدموها من أجل النهوض بالإمبراطورية الرومانية.

في هذه المحاضرة أعزائي الطلبة سنحاول أكثر ابراز شخصية كل من الإمبراطور دقلديانوس وقسطنطين وأبرز إصلاحاتهم في المجالات الإدارية والسياسية والعسكرية الاقتصادية.

أولا: التعريف بشخصية دقلديانوس (284–305م)

أ- أصله ونشأته:

ولد دقلديانوس (أوريليوس فاليريوس ديوكليتيانوس) حوالي 245م في إيليريا (Illyrie) التابعة إلى ولاية دالمانيا (Dalmatia) كرواتيا حاليا ويرجع المؤرخون أن مسقط رأسه كان في سالونا (حاليا قرب سبالاتو في يوغسلافيا والمطلة على بحر الإدرياتيك) وعلى أي حال كان أبواه فقيرين وربما كان أبوه يشغل وظيفة صغيرة كغيره من المعتقين، حيث كان يعمل في منزل أحد شيوخ السناتو الروماني وهو "أنولينوس" Anulinus ولكن ذلك لم يعق الإبن الطموح عن التدرج في الوظائف العسكرية، ولم يكن يعرف بإسم دقلديانوس وإنما كان إسمه ديوقليز أما دقلديانوس فقد أشتق من لفظ دالماشيا منبت رأس أمه.

الإمبراطور دقلديانوس (284–305م)

التحق بالخدمة العسكرية وهو صغير واستطاع بفضل ذكائه وقدراته أن يحصل على ثقة قادته الأمر الذي أدى الى تقلده مناصب في الجيش وانضم الى سلاح الفرسان ثم منصب الحاكم في البلقان ثم ارتقى الى منصب الامبراطور بعد وفاة كارلوس أثناء حروبه.

ب- سياسته في حكم الإمبراطورية:

يعتبر دقلديانوس من أعظم السياسيين الذين عرفهم العالم الروماني منذ أوغسطس، وقد نفذ برنامجا إصلاحيا شاملا في شتى النواحي فلم يسمح للمواطن الروماني بالتحلل من إلتزاماته حتى ضرب أروع الأمثلة في الحكم، وكان هدفه الأول هو إرساء دعائم الإمبراطورية الرومانية وقام بأكبر عملية ترميم حفظت الإمبراطورية الرومانية من السقوط ويذكر التاريخ انه قام بإصلاح شامل بعيد الأثر في بناء وتحديد الإمبراطورية الرومانية حيث وجه نفوذه نحو تقوية الإمبراطورية إلى ثلاثة أهداف:

- تقوية نفوذ الإمبراطور.
- إعادة تنظيم الجهاز الحكومي.
- تجديد نظام الجيش.

ج- إصلاحات الإمبراطور دقلديانوس:

يذكر التاريخ هذه الشخصية بسبب إصلاحته للوضع العام للإمبراطورية الرومانية ويمكن ان نصنف هذه الإصلاحات على النحو التالي:

1- الإصلاحات الإدارية:

- استحدث الإمبراطور نظاما جديدا عرف بنظام السيادة على إختلاف النظام السابق إذ أن السلطة الدستورية حلت محلها السلطة المطلقة فكان كل شيء بيده وقد كان له الحق في التصرف في الشون المالية والتشريعية والذي يختلف عن النظام السابق،

وكان هو القائد الأعلى للجيش وبذلك جرد السيناتو Senatus من سلطاته التشريعية وإمتيازاته الشكلية.

- الفصل بين السلطة المدنية والعسكرية جعل لكل منهما إقليم منفصل عن الآخر بعدما كانت السلطة العسكرية والمدنية كل منهما يكمل الآخر فمثلا كان حاكم المقاطعة قائدا أعلى للجيش الروماني هو المسؤول في الشؤون الإدارية والعسكرية ومسؤول عن شؤون القضاء ومعظم الأمور الأخرى لكن الوضع تغير بمجيء دقلديانوس وقام بكبح القاعد العسكريين الذين تمادوا في شؤون الدولة فقرر عدم منحهم الأولوية في المهام العسكرية.
- أعاد تنظيم الجهاز الإداري بشكل حرم إيطاليا من مكانتها الإدارية الممتازة التي كانت تتمتع بها وبالتحديد روما بوصفها مركزا للحكم الامبراطوري.
- قضي على التفرقة بين الولايات الإمبراطورية وولايات السيناتو.
- اتجه ناحية الشرق وذلك لإمتياز الولايات الشرقية بوفرة خيراتها وكثرة سكانها ومهارة الأيدي العاملة في الزراعة والصناعة والتجارة ويعتبر بذلك ممهدة لسياسة قسطنطين من بعده.
- اتخذ من نيقوميديا في الشمال الغربي من آسيا الصغرى على بحر مرمرة عاصمة جديدة للإمبراطورية.
- قام بنقل عاصمة إيطاليا من روما إلى ميلانو وذلك لأسباب عسكرية منها أنها تتحكم في معظم ممرات جبال الألب مما يسهل إنتقال جيوش الإمبراطورية منها إلى كل من غاليا Gallia أو جرمانيا Germania وذلك الصد أي هجوم أو اخماد أي فتنة.
- أدرك الخطر الناجم عن تضاعف عدد الولايات الرومانية Provinciae لما ترتب عليه من ظهور قيادات إنفصاليه. ففكر في ربط الولايات الرومانية ببعضها فقسم الامبراطورية إلى أربعة أقاليم يمكن أن نطلق عليها لفظه أقسام إدارية كبرى ووضع على رأس كل قسم منها حاكم إداري عام يتمتع إما بلقب اوغسطس Augustus أو

بلقب قيصر Caesar وكان من الناحية العملية شريكة للإمبراطور في حكم الإمبراطورية وفيما يلي الأقسام الإدارية الأربعة وما شملته من أقاليم:

الأقسام الأربعة هي: 1- غاليا: فرنسا وإسبانيا وبريطانيا والمغرب.

2- ايطاليا: الأراضي الواقعة بين الدانوب والبحر الأدرياتي مع ايطاليا وطرابلس وتونس والجزائر).

3- اليريا: (داشيا ومقدونيا وبلاد اليونان).

4- إقليم الشرق: (تراقيا وآسيا الصغرى والشام ومصر)، واحتفظ دقلديانوس لنفسه بحكم هذا الإقليم وجعل مركزه العاصمة نيقوميديا.

جدير بالذكر أن هذه الأقسام الكبرى يترأسها حاكم إداري يلقب باسم القيصر وقد كان شريكه في هذه ماكسمليان والذي أسند إليه حكم النصف الغربي للإمبراطورية الرومانية، بينما هو حكم الجانب الشرقي واتخذ اسم جوفيوس والمنسوب إلى جوبتر ملك الآلهة عند الرومان، وحمل شريكه الثاني لقب هركيليوس المنسوب الى هرقل ولقب باسم القيصر، وحيث كان يهدف وراء تلك الإصلاحات الإدارية، تأمين مركز إمبراطور وكل ما يتعرض له من الراغبين في اعتلاء العرش وخوفه من الإنقلاب العسكري ومحاولة حله لمشكلة النزاع حول وراثة العرش

2- الإصلاحات العسكرية:

- لم يختلف الإمبراطور دقلديانوس عن سابقيه من الأباطرة الرومان في اعتمادهم على الجيش ذلك الاهتمام الذي بدأ مع بداية العصر الإمبراطوري نفسه حين تولى الإمبراطور أوغسطس عرش الإمبراطورية إذ خبروا جميعا أهمية الجيش في الدفاع عن الإمبراطورية وحدودها.

- اعتمد الإمبراطور دقلديانوس في تكوين جيش الإمبراطورية على الجند الذين ينتمون إلى أكثر شعوب الإمبراطورية تخلفا في المجال الحضاري مثل الجرمان في أوروبا، والبربر في افريقية، والعرب في سوريا وهذا لا ينفي بطبيعة الحال أن الغالبية العظمى من المواطنين الرومان المتمتعين بحقوق المواطنة الرومانية هي التي شكلت قوام الجيش الأساسي.
- جعل دقلديانوس الخدمة في الجيش إلزامية ويخبرنا تشارلز ورث في مؤلفه الإمبراطورية الرومانية، أنه سمح لأبناء الجنود والمحاربين القدماء والمتطوعين بالانخراط في الجيش وفتح الطريق أمام الجندي للترقي ليصبح ضابط مائه، وصولا إلى مرتبة القائد الأعلى للجيش
- ويجمع معظم الباحثين على أن دقلديانوس بفضل مجهوداته في الجيش تمكن من تدعيم الحدود وبناء القلاع وبشق الطرق العسكرية من بريطانيا في الغرب إلى ما يسمى ب Strata Diocletiana في الشرق وهو طريق يمتد من البحر الأحمر إلى Duraعلى ال Euphrates.
- وعن مجهودات الجيش الحربية في عهد دقلديانوس فنعرف أن دقلديانوس استعمل الجيش في إقرار الأمن والنظام في مختلف أرجاء الإمبراطورية والولايات التابعة لها، وفي إخضاع الثورات العارمة في كل من Gallia غاليا، و Aegyptus مصر، وولاية Africa افريقيا وبريطانيا Britania واستطاع بفضل جيشه اخماد الثورات في مصر وشمال افريقيا وقاليا وبريطانيا بالإضافة الى صده للبرابرة على جبهة الراين والدانوب.

3- الإصلاحات الاقتصادية:

- قام الإمبراطور الروماني دقلديانوس بإصلاح النظم المالية والضرائب التي حاول أن يجعلها عادلة. وسك عملة رومانية سليمة حازت ثقة التجار. كما قام بتسعير السلع ورفع الأجور.
- قام دقلديانوس بحصر واسع للأراضي الزراعية في الإمبراطورية وتحديدها بهدف تقرير الضرائب في صورة عادية، ورغم أنه لم ينجح في إصلاح الأزمة الاقتصادية إلا أنه نجح في حماية الفقراء من جشع المستغلين والمتاجرين بأقوات الأهالي إذا أصدر قرارات خاصة بتحديد اسعار السلع والمواد الغذائية ووضع العقوبات لكل من يخالف ذلك.
- تنظيم أصحاب الحرف المختلفة في نقابات وكان الغرض من ذلك اجبار كل نقابة على انتاج مقدار معين من الوحدات الصناعية وذلك بغرض الحفاظ على كمية الإنتاج، وتنظيم أصحاب المهن في شكل نقابات كان ييسر أمر جباية الضرائب.
- نظم كذلك القطاع التجاري بذلك نشطت حركة التجارة الداخلية والخارجية وتنوع السلع والبضائع وحركة الاستيراد والتصدير.

- **نتائج الإصلاحات المالية:**

- ألقت اصلاحاته على الأهالي عبئا ثقيلا في ذلك الوقت من إجهاد شديد ولذلك لم يستطع دقلديانوس من إعادة الأوضاع الاقتصادية والمالية للإمبراطورية الى سابق عهد الازدهار.

ثانيا: التعريف بشخصية قسطنطين (306-337م)

تخلى الامبراطور دقلديانوس عن العرض سنة 305، بعد أن بلغ من عمره وأشكل عليه المرض وشعر بأنه أدى واجبه في قيام الإمبراطورية وتدعيمها، وقد أعقب نزول دقلديانوس عن العرش قيام حرب اهليةة استمرت سبعة عشر (17) سنة برزت خلالها شخصية

قسطنطين الذي استطاع أن يتغلب على خصومه، ويجمع الباحثون أن قسطنطين أهمة خاصة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية وذلك نظرا لأعماله الهامة التي كان لها أثر واضح على تغيير وجه التاريخ وتحقيق الانتقال من العلام القديم الى عالم العصور الوسطى لكونه قام بعملين على قدر كبيرة من الخطورة أولها الاعتراف بالمسيحية كديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية وثانيا نقل العاصمة من روما إلى روما الجديدة وعرفت بالقسطنطينية.

أ- أصله ونشأته:

هو فلافيوس فالريوس أوريليوس قسطنطينوس (Flavius Valerius Aurelius Constantinus) الملقب بقسطنطين الأكبر وهو ابن غير شرعي للقيصر قسطنطيوس كلوروس (Constantius Chloros) من عشيقته هيلينا (Helena) والمعروفة باسم هيلانة في المصادر العربية، والتي كان قد التقى بها في بيثينيا (Bithymia)، والتي كانت تعمل نادلة (ساقية) في أحد الحانات والتي كان قد أقام معها عدة سنوات ثم هجرها سنة 289م، ليتزوج من ثيودورا ابنة الإمبراطور ماكسيميانوس(Maximianus) وضعت هيلينا ابنها في مدينة نيسوس (نيش في صربيا) في إقليم إليريا في يوم 27 فيفري 272م أو حوالي 17 فيفري سنة 280م كما تشير بعض المراجع.

الإمبراطور قسطنطين (306-337م)

امتاز قسطنطين الأول بشخصية فذة فقد وهبته الطبيعة أثمن ما لديها فكان ذا عقل راجح وكان مهيب الطلعة، وكان محمود السيرة، وكان يضحك بتحفظ وأحتفظ منذ طفولته حتى أواخر عمره بقوته وصحته لالتزامه العفة وضبط النفس وكانت له عزيمة ماضية وكان عندما يريد أن يبلغ هدفا معينا فإنه يعمل فيه دون كلل أو ملل ويستنفذ كل وقته فيه ويفكر ويخطط له حتى يبلغ مبتغاه، وكان عبقريا في تفكيره، وكان مجتهدا ينظر في شؤون رعاياه، وكان في ميدان السياسة دبلوماسيا فذا وقد كلف باستقبال السفراء فأحسن المهمة، وفي ميدان المعركة فقد كان قائدا بارعا عرف كيف يتخلص من خصوصا واحدا تلو الأخر، عرف كيف يضع يده على نبض إمبراطوريته وهي في أحلك مراحل تاريخها، وقد قارن شعبه بين حكمته وعدالته، وبين الرذائل المتفشية في خصومه.

في سنة 293 ميعين الإمبراطور دقلديانوس قيصرين يكونا تحت الإمبراطورين الشريكين اللذان يحملان اسم أغسطس (August)، وهما جالريوس (Galerius) في الشرق وقسطنطنيوس كلوروس في الغرب الذي أصبح قيصرا على غالة وجنوب بريطانيا وإسبانيا وعلى إثر ذلك أرسل الأب ابنه إلى نيقوميديا (Nicomedie) عاصمة الإمبراطورية الرومانية ومقر إقامة الإمبراطور تقلديانوس لينال قسطا من التعليم وهناك نشأ قسطنطين نشأة ملكية ويتمتع برغد العيش ونشأ ملما بأحداث الإمبراطورية الرومانية عارفا بأسرار القصر الإمبراطوري وعارفا بخبايا السياسة ولم يكن لقلة تعليمه أثر في احترامه وتقديره للعلم والمعرفة ومختلف الفنون وطلاب العلم والعلماء، فقد شهد عهده نهضة علمية كبيرة

ب- إصلاحات الامبراطور قسطنطين:

1- الإدارية

- توجه نحو إتمام الإصلاحات التي بدأها دقلديانوس، والذي قسم الإمبراطورية إلى أقاليم أربعة هي:

1. غاليا وتضم غاليا وبريطانيا وإسبانيا ومراكش.
2. إيطاليا من حدود نهر الدانوب بما فيها إيطاليا وتونس والجزائر وطرابلس.
3. إيليريا (يوغوسلافيا) وتضم داشيا ومقدونيا وبلاد اليونان.
4. إقليم الشرق: آسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر وكانت تحت حكم دقلديانوس نفسه.

- نقل عاصمة الإمبراطورية من روما الى روما الجديدة Roma Nouva التي شيدها على ضفاف البسفور في الشرق.
- وواضح أن قسطنطين كان قد اقتفى في إصلاحاته الإدارية على السياسة التي وضع أسسها دقلديانوس، فقام بالأعمال التي بدأها هذا الإمبراطور ومنها الفصل بين السلطتين المدنية والعسكرية، وقد طبق ذلك في نظام الولايات.
- لقد كانت السلطة التشريعية في يد الاغسطين وكذلك الناحية الإدارية (حدث تقسيم للسلطات)، وكان دقلديانوس من قبل قسم البلاد إلى سبعة عشر وحدة صغيرة لها نائب وتشمل هذه الوحدة على عدد من الولايات والتي كانت 101 ولاية يشرف على واحدة منها ثلاث إدارات: إدارة المالية – العدالة – إدارة الأملاك الخاصة بالإمبراطور، إذ كان النائب مسؤولا أمام الإمبراطور، وكان بعمله هذا يريد القضاء على عوامل الفساد والبيروقراطية المنتشرة في أنحاء الإمبراطورية، كما أعلن نفسه كإله يرفع تمثاله مع تماثيل الآلهة.
- **نظام الجيش**: اعتمد على العناصر الأقل حضارة وخاصة الجرمان وكانت الترقيات للجندي الأذكى والأقوى والأشجع.

2- العسكرية:

- يعتبر أهم تغير أدخله قسطنطين هو إدخال مبدأ الحكم والوراثي وأنقص عدد أفراد الفرق العسكرية، واستمر في فتح الباب أمام الجرمان للانخراط في سلك الجيش

الروماني، وضاعف الضرائب والخدمات الإجبارية المخصصة لشق الطرق وإقامة المنشآت العامة.

- اعتمد على العناصر الأقل حضارة وخاصة الجرمان.

3- الاقتصادية:

لم تختلف عن سياسة دقلديانوس كثيرا لكن سوف نعرض الآن بعض العناصر التي تخص سياسة كلاهما المالية.

- أحصى الأراضي في جميع أنحاء الإمبراطورية لتفرض عليها ضرائب عادلة، صك عملة صحيحة نالت ثقة التجار والصناع والفعلة، كما قنن البضائع وجعلها بأسعار معقولة، ولم تفلح هذه العلاجات لأن أغلب الضرائب كانت تقع على عاتق الفقراء.
- وأنزل طبقة الصناع (الحرفيين) إلى منزلة العبودية (servus) عندما جعل الحرف والأعمال وراثية موضع تشريعا مستديما، كما منع المزارعين الأحرار من ترك أراضيهم والانتقال إلى الولايات الأخرى على أن تكون الأحوال الفلاحية فيها أقل قسوة؛ الأمر الذي عجل بالقضاء على طبقة المزارعين الأحرار وتحويل أبنائهم إلى أقنان. (نقلا عن الأستاذ الدكتور: "كمال بن مارس" في محاضرته)